

الوافي في الوفيات

الخضر بن شبل الفقيه أبو البركات الحارثي^١ الدمشقي^٢ الشافعي خطيب دمشق ومدرّس الغزالية والمجاهدية . كان فقيهاً إماماً كبير القدر بعيد الصيت . بنى نور الدين مدرسته التي عند باب الفرج وجعله مدرّسها . وقرأ على أبيالوحش سبيع وسمع منه ومن ابن الموازيني وجماعة . روى عنه ابن عساكر وابنه زين الأمان وأبو نصر بن الشيرازي وآخرون . وتوفي سنة ثلاث^٣ وسين وخمس مائة ودفن في مقبرة باب الفراديس . ابن الزين خضر .

الخضر بن محمد بن الخضر بن عبد الرحمن بن سليمان بن علي . هو القاضي زين الدين ابن القاضي تاج الدين ابن زين الدين ابن جمال الدين ابن علم الدين ابن نور الدين كذا أملى علي^٤ نسبه . وسألته عن مولده فقال : في سنة عشر^٥ وسبع مائة ليلة الأحد رابع ذي الحجة . كاتب الإنشاء بالديار المصرية قادر على الكتابة سريعا يكتب من رأس قلمه التواقيع والمناشير . واعتمد القاضي علاء الدين بن فضل الله عليه فكان يجلس عنده بين يديه ينفذ المهمات . قل^٦ أن رأيت مثله في الصبر على كتابة أشغال الديوان . وهو قليل النظم قرأ القرآن وصلّى به وسمع البخاري على الحجار وست^٧ الوزراء وعلى غيرهما . وأخذ النحو عن الشيخ شهاب الدين بن الرحّال وحفظ الألفيتين المالكية^٨ والمعطية^٩ وبحث المقرّب وصناعة الكتاب لابن النحاس وبعض التنبيه تقدير الربع وحفظ عروض ابن الحاجب وقصيدة ابن مالك في الفرق بين الطاء والضاد والتجريد للبحراني في البديع . ودخل دار العدل أيام الملك الناصر محمد عوضاً عن والده لما توجه كاتب سر حلب سنة ثلاث وثلاثين وسبع مائة . وأنشدني من لفظه لنفسه : من الطويل .

يحركني مولاي في طوع أمره ... ويسكنني شانيه وسط فؤاده .

ويقطع بي إن رام قطعاً وإن يصل ... يشق بجدّي الوصل عند اعتماده .

ولما طلبت أيام السلطان الملك الصالح إسماعيل سنة خمس^{١٠} وأربعين وسبع مائة وجلست في ديوان الإنشاء بقلعة الجبل تفل الجماعة الموقعون وكتب بعضهم إلي^{١١} شعراً من باب الهناء وأجبتة . ثم بعد مدة كتب إلي^{١٢} زين الدين هذا : من الطويل .

تأخرت في مدحي لأنني مقصّر ... وفضل صلاح الدين ما زال يستر .

خليل له الآداب حقاً ينالها ... جليل به الأصحاب تسمو تفخر .

لقد آنس الأمصار لما أتى لها ... وأوحش ربيع الشام إذ كان يقفر .

فلا شهدت عيناى ساعة بعده ... ولا شهدت شوقاً إليه فتسهر .

ودام عليّ القدر يرقى إلى العلا ... محامده بين الأنام تسطّر .
فكتب الجواب إليه عن ذلك : من الطويل .
تفضّلت زين الدين إذ أنت أكبر ... وأشرف من مدحٍ به العبد يذكر .
فشرّفت قدريحين شدّفت مسمعي ... فيا من رأى شعراً على الدرّ يفخر .
فما هو شعر يحضر الوزن لفظه ... ولكنه شيءٌ من السّحر يؤثر .
يجوز بلا إذنٍ على الأذن خفّسةً ... كأنّ الزلال العذب منه يفجّر .
فها أنا منه في نعيمٍ مخلّدٍ ... وعيشي بخضرٍ في ربا مصر أخضر .
وكتب إليّ ملغزاً في قطن :